المدينة الإسلامية ودورها الحضاري ببلاد المغرب الأوسط حتى القرن الثالث هجري . مدينة تيهرت نموذج

الطاهر الطويل
جامعة فرحات عباس سطيف .

يمكن أن نجد الكثير من المدن التي ظهرت ببلاد المغرب الأوسط في هذه الفترة الزمنية من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، والتي تشكل أنماطا حية للطابع الصحراوي الذي نجد عنده خاصية يتميز بها دون غيرها من المناطق الأخرى .

فللصحراء شخصيتها في تشكيل الحياة الاجتماعية والذهنية والنفسية، فالصحراء تعارض الاستقرار وتكرس التجوال الذي يعني بدوره تفتيت حتى القبيلة الواحدة إلى عدة بطون وأفخاذ[1]، وقد استطاع إنسان المغرب الأوسط أن يكيف جغرافية المنطقة الصحراوية، بما تحمله من مكونات تتمثل في طابع القصور، والأربطة، والواحات، والتي انتشرت كثيرا في مناطق المزاب، وورقلة وواحات وقصور أريغ وتوات، وسوف .

وتشير النصوص التاريخية أنه مع نهاية القرن الأول الهجري صلح إسلام البربر، وأن مدن الصحراء كانت معنية بعمليات الفتح قبل مدن الساحل زمنيا، فهذا يدل على أن الفاتحين كانوا يعرفون على الأقل دور تلك الواحات كعمق استراتيجي يطوق البلاد التي يخطط لفتحها، وكذلك دورها في المسالك التجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء[2]، ثم لا ننسى أن الكثير من قادة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي كانت لهم تجارب سابقة لفتح بلاد صحراوية قبل وصولهم للمنطقة أواخر القرن الأول الهجري .

تيهرت المدينة الحاضرة :

تميزت فترة حكم الولاة الأمويين لبلاد المغرب الأوسط بنوع من الاستبداد القائم على أساس توريث الحكم والذي أدى بسكان المغرب الأوسط أن يعتنقوا مبادئ الخوارج ويحتضنوا أفكارهم في الحكم المتعلقة بنظام الشورى، وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه هذه الثورات كانت بلاد المشرق تشهد في بغداد ثورة للعباسيين ضد الحكم الأموي، وأصبحت أطراف الدولة الإسلامية مقصدا لكل ثائر لبعدها عن المركز دمشق، وبلاد المغرب الأوسط كانت من أهم المناطق التي استهوت هؤلاء الخوارج[3]، فقد كانت جغرافيتها تغري هؤلاء على اللجوء إليها، فضلا عن سكانها الذين لا زالوا يحتفظون بالولاء الشديد لكل ما له علاقة بالمبادئ الأساسية للدين الإسلامي الحنيف .

أ- ظروف تأسيس المدينة :

منذ استطاع الخوارج الاستيلاء على القيروان عام 140هـ/ 757م، اندلعت بينهم اضطرابات بين قبائل الصفرية والإباضية من جهة، وبين ولاة القيروان من جهة أخرى، بعد أن ظهرت بينهم تناقضات الصراع على السلطة، أما بالنسبة للإباضيين، وبعد أن حال عبد الرحمن بن حبيب دون أن تظهر لهم دولة ببلاد المغرب، عقدوا الإمامة لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[4]، هذا

---

[1] محمد أبو القاسم حاج محمد: العالمية الإسلامية الثانية-جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، دار ابن حزم، بيروت، 1996، مج 02، ص114-115.

[2] عمر السعيدي: الواجهة العسكرية للحضارة العربية الإسلامية، فتح افريقية .(مجلة دراسات تاريخية) العدد 05، يوليو، 1981، ص52 .

[3] حول ثورات الخوارج ببلاد المغرب الأوسط أنظر : حسين مؤنس : ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102 – 136هـ (721 – 753 م)، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الأول، ماي 1948 .

[4] أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي : كتاب السير. تحقيق، أحد بن سعود السيباني، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1992، ج 01، ص 114 .

الأخير الذي ولي عبد الرحمن بن رستم على القيروان[1]، ليعود هو إلى طرابلس لمواجهة العباسيين هناك. وبعد موته بتاورغا عام 144هـ/ 761م فرعبد الرحمن بن رستم إلى المغرب وكان معه ابنه عبد الوهاب، ثم لجأ إلى جبل سوفجج ومنه تتأسس الدولة الدولة الرستمية . وتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المذهب، والدولة.

ومع بداية مرحلة التأسيس الفعلي للدولة، فإن أول عمل يقوم به عبد الرحمن هو بناء المدينة التي ستكون عاصمة لدولته؛ لذلك فالاهتمام الرستمي بالعمارة والبناء اقترن بهذا الإمام مؤسس الدولة. وقد مرت مدينة تيهرت بمراحل متدرجة من التطور وكان ذلك بالتوازي مع تطور الدولة، التي لا يمكن فصلها عن المذهب الذي تأسست على مبادئه .

فإقبال مجموعة من أهل الغرب الإسلامي على التمسك بالمذهب الإباضي كان بمثابة رد فعل إيديولوجي ضد الممارسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الظالمة التي مارسها الحكام والولاة الأمويون على خيرات هذه المنطقة وأهلها فقد وجد بعض الأهالي في هذا المذهب مناسبة للتعبير بواسطته عن تذمرهم وسخطهم على ما يمارسه الأمراء الأمويون وولاتهم في هذه البلاد[2].

لقد كانت مرحلة تأسيس المدينة في عهد الإمام الأول عبد الرحمن، إذ يذكر أبو زكريا رواية تأسيس تاهرت فيقول:«...وسبب ولايته أن جماعة المسلمين اتفقوا أن ينتخبوا موضعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا للإسلام . فأرسلوا الروافد في الأرض، فرجعوا فدلوهم على تاهرت، فاتفق جمهور المسلمين مع أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة يأخذوها من غلتها .

وقد كانت قبل ذلك غياضا عامرة بالوحوش والسباع والهوام»[3] كما وردت روايات حول تأسيس المدينة أقرب ما تكون لتلك المتعلقة برواية تأسيس عقبة بن نافع للقيروان .

وقد واكب قدوم عبد الرحمن إلى المنطقة تفكيره في تأسيس قاعدة لملكه، فبعد أن فرمن القيروان إلى تاهرت بالمغرب الأوسط. واجتمعت إليه طوائف من البربر الإباضية من لماية ولواتة ورجالة من نفزاوة فنزل بها واختط مدينتها سنة أربع وأربعين[4]. وقد تحالف عبد الرحمن مع قبائل المنطقة ليضمن التأييد لسياسته فيما بعد ويخبرنا ابن خلدون أنه :«...نزل على لماية لقديم حلف بينه وبينهم فاجتمعوا إليه وبايعوا له بالخلافة وائتمروا في بناء مدينة ينصبون بها كرسي إمارتهم فشرعوا في بناء مدينة تاهرت في سفح جبل كزول والسياح على تلول منداس، واختطوها على وادي ميناس النابعة منه عيون بالقبلة، ويمر بها وبالبطحاء إلى أن يصب في وادي شلف، فأسسها عبد الرحمن بن رستم واختطها سنة أربع وأربعين ومائة فتمدنت واتسعت خطتها إلى أن هلك عبد الرحمن...»[5]، إلا أننا وقبل رواية ابن خلدون في زمن تأسيس المدينة نجد ابن عذارى يقول أن ذلك حدث بعد تاريخ 144هـ، ويقول:«... واختط الناس مساكنهم. وذلك في سنة 161هـ وكانت في الزمان الخالي مدينة قديمة. فأحدثها الآن عبد الرحمن بن رستم وبقي بها إلى أن مات في سنة 168هـ...»[6]، ويرجح جودت عبد الكريم يوسف[7] أن تكون عملية البناء في التاريخ الذي أشار إليه ابن عذارى فيما نجد رأي آخر يرى أن الانطلاقة الفعلية لبناء هذه المدينة التي ستصبح عاصمة الدولة الرستمية فيما بعد في نهاية عام 155هـ وبداية عام 156هـ. وهذا على أساس أن عبد الرحمن بن رستم كان من المشاركين في حصار مدينة طبنة عام 153هـ،[8] وعلى كل فالمدينة تكون قد تأسست في الفترة ما بين 155هـ إلى 160هـ.

---

[1] الشماخي : نفسه . ج 01، ص 118 .

[2] يوسف احنانة : تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة اليديني، الرباط، 2003، ص 34 35 .

[3] أبي زكريا : المصدر السابق، ص 53 .

[4] ابن خلدون : ديوان العبر، ج 6، ص 132 .

[5] ابن خلدون : نفسه، ج 06، ص 143 .

[6] ابن عذارى المراكشي : المصدر نفسه، ص 196 .

[7] جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص 30 .

[8] بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية، ص 85 .

بالنسبة للمصادر الجغرافية يعتبر اليعقوبي أهم مصدر لهذه المرحلة. هذا المؤرخ الرحالة، ذو الميول الشيعية الواضحة، تجول في المغربين الأدنى والأوسط في تاريخ يقع بعد سنة 260هـ/873م يعتمد فيما يكتب على مشاهداته، على الأخبار التي استقاها مباشرة من التجار وأحيانا ممن ينتمي إلى أسرة حاكمة (عن عبد الرحمن بن محمد بن ميمون بن عبد الوهاب الرستمي) فلا يمكن إذن إهمال شهادته[1].

وتعتبر تيهرت من المدن الإسلامية الأولى المحدثة. فمن الملاحظ أن بلاد المغرب الأوسط لم تشهد ظهور أية مدينة جديدة منذ الفتح الإسلامي حتى بناء مدينة تيهرت. وربما كان السبب الرئيسي يتمثل في تلك الحروب والثورات المتكررة التي شهدتها المنطقة وبالتالي فقدان عنصر الأمن والاستقرار. وهكذا كانت تاهرت هي المدينة الأولى المحدثة في البلاد[2].

اختطت تاهرت في الشق الغربي للمغرب الأوسط على نمط الأمصار الإسلامية، ولعل البصرة كانت هي المثال، من حيث تخطيط المدينة، وتعميرها من طرف القبائل التي سكنتها، في أحياء خاصة بكل قبيلة. وكانت تنزل حول تيهرت قبائل من هوارة ولواتة ومكناسة ومزاتة ولماية. وهي داخلة في المذهب الإباضي، فهي مادة بشرية مهمة لتأهيل المدينة التي ستصبح القصبة الكبرى للإباضية والمخالفين للدولة العباسية عامة، بل ستكون دولة هي دولة بني رستم ستلعب دورا كبيرا في المصير التاريخي للمغرب ولتركيز الإسلام في الجماهير المغربية المشتتة[3] .

يصف لنا اليعقوبي المدينة وظروفها العامة فيقول فيما يرويه عن أبي معبد أحد أعيان الأسرة الحاكمة، قال :« تاهرت مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية ليس لها فضاء. بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات في مستوى من الأرض وفي بعضها سباخ وواد يقال له وادي شلف وعليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم وغير ذلك من الحبوب ويصير إلى جبل يقال أنقيق ثم يخرج إلى بلد نفزة ثم يصير إلى البحر المالح. وشرب أهل مدينة تاهرت من أنهار وعيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول...»[4].

كانت بداية تأسيس المدينة مطابقة إلى حد بعيد لشروط اختطاط واختيار المدن، فقد كانت المرحلة الأولى تتمثل في اختيار الموقع بالقرب من المدينة القديمة وتحت إشراف أعيان متخصصين. فاختاروا إذ ذاك من أهل العلم والخبرة بالأرض جماعة ليرتادوا مكانا جيد الهواء كثير المياه خصب الأرض. قابلا للعمارة مأمونا من العدو كما طلبوا، فطافوا أقطار تلك الجهات إلى أن عثروا على المكان الذي بنيت فيه. وكانت غابة ملتفة بالأشجار يسكنها أنواع الوحوش[5]،

وكان اختيار الموقع لأسباب عديدة يلخصها جودت عبد الكريم يوسف في أن نزول عبد الرحمن بن رستم منطقة تيهرت فهي بعيدة عن القيروان. تفصل بينهما منطقة الزاب وجبالأوراس، وهي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل، وفي موقع متوسط بين التل والصحراء وبذلك فهي حلقة وصل بين تجارة الصحراء وما وراء البحر على الطريق بين الشرق والمغرب الأقصى والأندلس .

حول موضوع مشاركة عبد الرحمن بن رستم في الحصار الذي تعرضت له مدينة طبنة إلى جانب كل من : أبوقرة الزناتي، والمسور الزناتي، و الكثير من قبائل المغرب الأوسط في عام 153هـ، أنظر : الرقيق القيرواني . المصدر السابق، ص 105 106 . ابن عذارى المراكشي . المصدر السابق، ج 01، ص 75 . محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المعروف بابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، دار المسيرة، لبنان / مؤسسة سعيدان تونس، 1993، ص 60 . ابن خلدون : ديوان العبر، ج 04، 246 .

[1] عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب، ص 30 .

[2] جودت عبد الكريم يوسف : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ص 343 .

[3] هشام جعيط : تأسيس الغرب الإسلامي، ص 188 189 .

[4] المصدر السابق، ص 197 .

[5] سليمان باشا الباروني : المرجع السابق، ص 51 . البكري : المصدر السابق، ص 249 – 250 .

إضافة إلى ذلك فهي تقع في منطقة خصبة ذات مناخ ملائم. كما أنه باختياره هذا الموقع يكون قد تخلص من مشكلة المياه، فهي تقع على نهر مينة ونهر ناتش [كذا][1]. وهناك عامل آخر على درجة كبيرة من الأهمية، ووفر مقرا آمنا للمدينة وأتباع الإمام عبد الرحمن بن رستم هو وقوعها في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية المذهب متعددة[2] .

وفي نفس السياق فإن عبد الرحمن بن رستم اختار مقرا آمنا له ولأتباعه في جبل سوفجج القريب من تيهرت لحصانته ومنعته الطبيعية، كما أنه يتوفر على المياه والأراضي الخصبة الصالحة للزراعة وتربية الماشية[3]، فاحتمى عبد الرحمن بأهل هذه المنطقة وبجبالها مدة تزيد عن 15سنة، دون أن تصل إليه يد الدولة العباسية وولاتها في إفريقية، وهو الأمر الذي جعله يعمل بجد ونشاط على جمع شمل الإباضية وتهيئة المناخ لبناء مدينة جديدة تكون قاعدة للإباضيين في المغرب الأوسط.

ولم تتم عملية البناء إلا بعد الاتفاق مع أصحاب الأرض إذ أنها أرض لقوم وهم بعض صنهاجة و مداسة مستضعفين فراودهم عبد الرحمن على البيع فامتنعوا فمن ورعه وعدله أن اتفق معهم أن يأخذوا الخراج من الأسواق ويتركوا الناس يبنون ففعلوا وكانوا يأخذون ما عليه الاتفاق[4].

وكان بناء تيهرت بالقرب من المدينة القديمة التي كانت قائمة في عهد ابن حوقل النصيبي الذي وصف المدينتين القديمة والمحدثة:«...وتاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة أزلية والأخرى محدثة. والقديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي، وبها كثير من الناس وفيها جامع...»[5]

إن هذا النص يعطينا دلالة واضحة على الأهمية التي أولتها الكيانات السياسية التي قامت ببلاد المغرب الأوسط للعمران القديم الذي لم يدمر بل إننا نجد تواصل في البناء بما يتلاءم مع المتغيرات الإسلامية الجديدة، فكانت هذه الكيانات السياسية أحد عوامل الازدهار العمراني حيث كانت تسعى إلى بناء المدن والعواصم لنشر المذهب من جهة، وكسب الأتباع، ومن جهة أخرى لبسط نفوذ الدولة .

كما أن ازدهار العمران في المدن، يرتبط بتوسع ديموغرافي قوي، فقد كانت بلاد البربر في العصور الوسطى العليا مستودعا للاحتياطي من الرجال. كما يشهد بذلك استعمار أصحاب الجمال من البربر للصحراء، وفتح إسبانيا، وفتح صقلية في عهد الأغالبة، ثم غزو مصر وسورية في عهد الفاطميين بجيوش من أصل بربري[6]. وينطبق هذا على مدينة تيهرت التي وجدت في وسط قبلي غذاها بالعنصر البشري الذي كانت المدينة تحتاج إليه في مختلف الجوانب .

ب- منشآت تيهرت ومرافقها :

كانت بداية الدولة الرستمية في مرحلتها الأولى تتميز بالبساطة وهذا من خلال النص الذي جاء في كتاب أخبار الأئمة الرستميين، حيث يعبر لنا مؤرخ الدولة الرستمية عن الإمام عبد الرحمن الذي كان يشرف بنفسه على بناء داره، وحالة البساطة جدا التي كانت تطبع ظروف قيام هذه الدولة التي لا زالت لم تستحكم فيها أصول الملك بعد .

نص ابن الصغير المالكي يورده في سياق حديثه عن قدوم الوفد المشرقي الذي كان محملا بالمعونة المخصصة للإمام الرستمي، وبعدما سألوا عن دار الإمام وجدوه بسطح الدار يصلحها فجاءهم:«...على ما كان عليه من إصلاح عمله حتى انقضى والقوم ينظرون إليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم أم لا. حتى نزل عن سطحه إلى داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء

---

1 نهر تاتش : يورده صاحب كتاب الاستبصار بلفظ : نهر تانس، أما البكري فيرد عنده بلفظ : تاتش

[2] جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص 31 .

[3] عبد العزيز فيلالي : المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، ص 85 .

[4] الشماخي : المصدر السابق، ص 130.

[5] ابن حوقل : المصدر السابق، ص 86 .

[6] موريس لومبار : المرجع السابق، ص 211 .

الصلاة فأذن للقوم فدخلوا عليه فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيئ سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرس مربوط في ناحية من داره...»[1].

إن هذه الصورة التي وردت في نص ابن الصغير المالكي تعطينا دلالة واضحة على الصورة العامة التي كانت عليها الدولة في أيامها الأولى وهي أبعد ما تكون على كل مظاهر الترف، لأن الدولة كانت في مراحلها الأولى من التأسيس، وبناء المدينة كان موازيا لتأسيس الكيان السياسي.

ولعل هذا ما أشار إليه ابن خلدون من أن ثمرات الملك هي محصلة مراحل تالية من مراحل تطور الدولة. وحتى أن الدولة الإسلامية كثيرا ما لجأت للاستعانة بالدول المجاورة لها في أثناء قيامها بعمليات البناء الضخمة، ويقول :«...عندما تكون الدولة بدوية في أول أمرها تفتقر في أمر البناء إلى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث إلى ملك الروم بالقسطنطينية في الفعلة المهرة في البناء فبعث إليه منهم من حصل له غرضه من تلك المساجد...»[2].

على أن هذه الحالة لم تلبث أن تغيرت، وتبدلت أحوال المدينة نحو الأحسن بفعل الرخاء الذي عمها، وكذلك بفضل سياسة الإمام عبد الرحمن ابن رستم تجاه القبائل المجاورة خاصة، والتي كانت تستقر في المدينة وتوسع من عمران تيهرت، أو تأتي في مواسم معينة للاستقرار فيها. إذ يخبرنا ابن الصغير:«...أخبرني غير واحد من الإباضية وغيرهم، أن قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم، كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الربيع إلى مدينة تاهرت وأجوازها لما حولها من الشلأ وغيره...وكانوا إذا انتجعوا دخل وجوههم ورؤساؤهم المدينة فيبرون ويكرمون ثم يخرجون إلى شياههم و بعيرهم فيقيمون بها إلى ظعنهم...»[3].

مع انتجاع هذه القبائل، وترددها على المدينة تبدأ مرحلة توسع المدينة وبناء خططها، وبدأت تتخذ الأحياء الخاصة بكل قبيلة، ثم تبرز المرافق الأخرى التي يحتاج إليها هؤلاء السكان، فقد كان الوافدون من الناس والقبائل إلى المدينة حسب ابن الصغير دائما «قد شرعوا في البناء وإحياء الأموات وغرس البساتين وإجراء الأنهر واتخاذ الرحاء والمستغلات وغير ذلك، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار...»[4] .

تكون الظروف التي تأسست فيها المدينة من الاضطراب وانعدام الأمن ما يجعل البكري يسوق رواية عن هذه الظروف، ويقول :«...إنهم لما أرادوا بناء تيهرت، كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم. فبنوا حينئذ تيهرت السفلى وهي الحديثة. وبقبليها لواطة [كذا][5] وهوارة في قرارات وبغربيها : زواغة، وبجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة...»[6]

استمرت رغم ذلك عملية بناء ونمو المدينة حتى إذا ما كانت زيارة الوفد الثاني القادم من البصرة والمحمل بالمعونة لإخوانهم بالمغرب يخبرنا ابن الصغير عن رسل هذه السفرية «...أتت البلد ونزلت بالموضع الذي نزلت به أولا. ثم توجهت نحو عبد الرحمن فوجدوا الأمور قد تبدلت و أحوال المدينة والأشياء قد حالت وذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت وإلى بساتين قد غرست وإلى أرحاء قد نصبت وإلى خيول قد ركبت وإلى حفدة قد اتخذت السور والعبيد والخدام قد كثرت...»[7].

لقد تغيرت تيهرت وأصبحت حاضرة تستقطب الناس والتجار والعلماء وغيرهم، وأصبح لها مرافق تشتمل على كافة أسس المدينة الحاضرة بما تكفله للناس لقضاء حوائجهم واستمرت المدينة في

---

[1] ابن الصغير المالكي : المصدر السابق، ص 33 . أبي زكريا : المصدر السابق، ص 54 .
[2] ابن خلدون : المقدمة، ص453 454 .
[3] ابن الصغير : المصدر السابق، ص 47 .
[4] ابن الصغير : نفسه، ص 35-36 .
[5] الراجح أنها قبيلة لواتة .
[6] البكري : نفسه، ص 249 .
[7] ابن الصغير : المصدر نفسه، ص 38 .

النمو بعد الإمام عبد الرحمن بن رستم، ففي عهد ابنه عبد الوهاب حيث زاد ت حدود الدولة في التوسع، انعكس ذلك النمو على تنظيم المدينة التي أصبحت مقسمة إلى أحياء ودروب، وأصبحت بلد كبير كثير الخير رحب، رفق، طيب، رشيق الأسواق غزير الماء، جيد الأهل، قديم الموضع، محكم الرصف،عجيب الوصف، بها جامعان على ثلثي البلد قد بنيا بالحجارة والجبل، قريبان من الأسواق. من دروبها المعروفة أربعة :درب مجانة، درب المعصومة، درب حارة الفقير، درب البساتين.[1]

وقد وصفها المقدسي«...تاهرت اسم القصبة[2] أيضا هي بلخ المغرب قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجل بها الإقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق وأخطأوا وعلى قرطبة، وما أظنهم أصابوا...»[3]، وتكون المدينة حسب المقدسي الذي وصفها بالقصبة وهو مفهوم لا يخرج عن إطار المفهوم العربي للفظ القصبة التي تشير إلى المستوى الذي بلغته تيهرت، من التطور العمراني، ولو أن المقدسي ينكر أن تتمتع مدينة تيهرت بمكانة دمشق إلا أنه أصاب في وصف هذه الحاضرة والتي لا تقل أهمية عن الحواضر والعواصم الأخرى .

وبفضل موقعها عند سفح جبل كزول في نهاية التل الذي على الحد الشمالي للسهوب المتاخمة لأرض البدو والحضر، مما جعل البدو يؤمونها زرافات. وتقاطر عليها الأجانب وخاصة الفرس بدافع الأمل في الربح أو للدخول في مذاهب الخوارج. وكان لهؤلاء الأجانب مساكن جميلة وأسواق، ولذلك سميت تاهرت "العراق الصغير"[4] .

أما بالنسبة للمباني والمساكن فالراجح أنها كانت موزعة بين أحياء مختلفة، وكانت تاهرت مقسمة إلى أحياء، اختصت كل قبيلة أو جنس بحي منها مثلما جرى العمل به في المدن الإسلامية عامة[5]. وبالعودة إلى المصادر فابن الصغير المالكي يقول :«...ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين...»[6]، هؤلاء السكان كانوا يتجمعون حول المساجد، وحول القصور المبنية بجوار بعضها والمحاذية للنهر، وكانت مبنية بمواد محلية من الطين والحجارة[7].

في عهد الإمام أفلح تسابق الناس في البناء حتى أن ذلك تجاوز المدينة ليشمل نواحيها و أرباضها، وشمل البناء خاصة القصور والضياع كما يقول عن ذلك ابن الصغير:«...وتنافس الناس في البناء حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة وأجروا الأنهر...»[8].

وما يلفت النظر أن هذه القصور المشار إليها تقع جميعا خارج مدينة تاهرت، وربما كانوا يعتمدون ذلك لأن بناءها بين البساتين وعلى الأنهر يضفي عليها جمالا ورونقا أكثر. ولا عجب أن

---

[1] سليمان باشا الباروني : المرجع السابق، ص 83 .

[2] القصبة : جوف القصر، وقيل : القصر . وقصبة البلد : مدينته ؛ وقيل معظمه، وقصبة السواد : مدينتها. والقصبة جوف الحصن، يبنى فيه بناء هو أوسطه . وقصبة البلاد : مدينتها .
والقصبة : القرية . وقصبة القرية : وسطها . ابن منظور : لسان العرب، المجلد 05، ص 95 .

[3] المقدسي : المصدر السابق، ص 185 .

[4] مادة تاهرت : دائرة المعارف الإسلامية . المجلد الرابع، ص525 .

[5] جودت عبد الكريم يوسف : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب الأوسط، ص 350 .

[6] ابن الصغير المالكي : المصدر السابق، ص 36 .

[7] Brahim zerouki, *l'imamat de tahart premier état musulman du Maghreb (144/296 de lhegire), tom1: Histoire Politico- Socio- religieuse*,C.N.R.S, Paris, p. 20

[8] ابن الصغير : المصدر نفسه، ص 61 .

تكون لقبائل تاهرت قصور، فهي قد اكتسبت الأموال ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة منذ عهد الإمام افلح[1].

وقد أورد الفرسطائي أحكام هذه المباني (القصور) في مصنفه– القسمة وأصول الأراضين – ففيما يخص قوم أرادوا أن يبنوا قصرا يقول:«...فقوم أرادوا أن يبنوا قصرا فيما بينهم خواص كانوا أوعامة وقد اشتركوا في الأرض التي أرادوا أن يبنوا فيها ؟

قال: يبنون حائط قصرهم على قدر ما لكل واحد منهم من الأرض فيكون حائط السور بينهم على قدر سهامهم من الأرض. وكذلك إن بنوا فيه بيوتا على هذه الحال. وتكون على قدر سهامهم من الأرض. كذلك الغرف على هذا الحال مثل البيوت. وأما إن لم يكن لهم في الأرض شيئ، فأذن لهم صاحبها أن يبنوا فيها قصرا فبنوه فيها فإنه يكون على اتفاقهم فيما بينهم البين في السور والبيوت»[2].

وبطبيعة الحال يحتاج هذا النوع من البناء على طوابق إلى إنشاء الدرج، الذي يعتبره الفرسطائي شرطا ولا يمكن لأي أحد أن يمنعه :«...وإن أحدثوا قصرا وبنوا فيه البيوت والغرف، ولم يجعلوا لتلك الغرف درجا يرقى بها إليها يجعلون الدرج بعد ذلك، كما أمكنهم كلهم ولا يصيب أحد منعهم من ذلك ويجعلون تلك الدرج بكيف لا يضر بصاحب البيت. ولا يمنع صاحب الغرفة من الطلوع إلى غرفته، وكذلك الغرفة الثانية والثالثة على هذا الحال »[3].

وكثيرا ما كانت هذه القصور مزينة بشرفات، وأما أحكامها بالنسبة للفرسطائي :«...وإن اختلفوا في شرفاته فقال بعضهم نجعلها وأبى بعضهم على ذلك فإن كانت القصر قبل ذلك له شرفاته، فإنهم يتآخذون على بنيانها وإن لم تكن قبل ذلك فلا يتآخذون عليها إلا إن رأوا أن ذلك أصلح .

وكذلك الغرف إن اختلفوا في بنيانها على ما قلناه في هذه المسألة وهذا كله إنما يرجع إلى رأي أهل النظر والصلاح منهم في إحداث ما يحدثونه أو نزع ما كان قبل ذلك »[4].

وقد امتلك الأفراد والقبائل التي سكنت تيهرت هذه القصور؛ فيخبرنا ابن الصغير عن البعض منهم «...فابتنى إبان وحمويه القصرين المعروفين لهما بأملاق وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره...وانتشرت القبائل وعمرت العمائر وكثرت الأموال بأيديهم، وكانت العجم قد ابتنت القصور ونفوسة قد ابتنت العدوة والجند القادمون من إفريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم. وأمنت الساحات كثرت الأموال...»[5].

وحسب طبيعة المنطقة فإن هذه المباني كانت مختلفة ولم تكن على نسق واحد؛ فوجد منها المساكن المشكلة من عدة طوابق. وقد يشترك مجموعة من الأفراد في امتلاكها. إذ يورد الفرسطائي هذه المسألة في حالة انهدام البيت الأعلى على الذي أسفله :«...وإن انهدم بيت لرجل وعليه غرفة لرجل آخر، فانهدم البيت وبناه صاحبه، فاستمسك بصاحب الغرفة أن يرد غرفته، وقال له ليس في حيطانه ما يبني عليها فهي ضعيفة ولكن أهدمها ووثق حيطانك فهل يدرك عليه ذلك ؟

قال: ينظر في ذلك أهل النظر، فما قالوا لهم في ذلك فعلوه .

وإن كان لرجل بيت وعليه غرفة الآخر فنزل في الأرض ودفنت، فاستمسك به صاحب الغرفة في ذلك. قال:إن انهدم فإنه يدرك عليه رده كما كان أولا. ولا يحاسبه بما دفن في الأرض. وإن لم ينهدم فلا يدرك عليه شيئا .

وإن استمسك به صاحب البيت أن يهدم غرفته حتى يبني بيته إلى الموضع الذي انتهى إليه أولا، فإنه لا يدرك عليه ذلك. ومنهم من يقول يدرك كل واحد منهما على صاحبه ما ذكرنا في هذا كله

---

[1] جودت عبد الكريم يوسف : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ص385

[2] الفرسطائي : القسمة وأصول الأراضين، ص 163 .

[3] الفرسطائي : المصدر نفسه، ص 174 .

[4] الفرسطائي : المصدر نفسه، ص 165 166 .

[5] ابن الصغير : المصدر السابق، ص 62 .

حتى يرد ذلك كما كان أولا»[1]، فهذا النمو في العمران وبناء المساكن ليدل بشكل قاطع على مدى الازدهار الذي بلغته المدينة في وقت سلكت فيه سياسة مسالمة مع جيرانها أكسبها استقرار وأمن ساعد على هذه الحركة بشكل كبير.

ج- تحصينات المدينة :

كانت المرحلة الأولى من تأسيس تيهرت كما رأينا قد تميزت بنوع من البساطة، والذي تتعدد أسبابه، غيرأن الوضع سرعان ما أخذ يتطور مع تطور مراحل تشكل الدولة الرستمية. فأخذ هؤلاء يفكرون في تأمين حاضرتهم التي أصبحت عاصمة الدولة. ولعل أول ما ينبغي أن يراعى في حصانة المدينة يتمثل في موقعها بالدرجة الأولى، وهذا ما انتبه له المؤسس الأول للدولة الرستمية من خلال لجوئه لجبل منيع؛« فبعد قدومه المغرب وتوليته افريقية عاملا لأبي الخطاب وهروبه إلى المغرب ونزوله بسوفجج وحصار ابن الأشعث له وامتناعه منه وقول ابن الأشعث هذا سوفجج لا يدخله إلا دارع أو مدجج »[2].

وبداية تحصينات المدينة يبدأ بإحكام الأبواب وإحاطتها بسور المدينة، يحدد ابن عذارى المراكشي أبواب مدينة تيهرت الحديثة، التي تبعد على خمسة أميال من القديمة. «والحديثة مشهورة، ولها أربعة أبواب: باب الصفا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المواجن، وهي في سفح جبل يقال له جزول. ولها قصبة مشرفة على السوق، يقال لها المعصومة، وهي على نهر يأتيها من القبلة، وهي كثيرة البرد والثلج والأمطار، حتى قيل لبعضهم: كم زمان الشتاء عندكم ؟ فقال : ثلاثة عشر شهرا»[3].

إن الموقع الإستراتيجي والطبيعي لمدينة تيهرت كان على درجة كبيرة من الأهمية؛ فالمدينة اختير لها أن تكون في موقع هام يخدم العديد من المصالح الدفاعية والتي سبقت الإشارة إليها. أما تحصينات المدينة في حد ذاتها فأول ما يصون المدينة ويحميها هي أبوابها وأسوارها وخنادقها، والتي تتخذ لأغراض دفاعية ولضرورات حربية ما فتئت تهدد الاستقرار والاستمرار في البناء والتطور داخل المدينة. ورغم أن مدينة تيهرت قد شيدت أول الأمر على مستوى من البساطة إلا أنه بالإضافة إلى الأبواب التي أشار إليها ابن عذاري، اتخذت القلاع والأسوار، إذ أن تيهرت نفسها كان لها قلعة عظيمة مشرفة على سوقها[4]. والتي أشار إليها ابن عذارى، وقد أشار البكري إلى الظروف التي تأسست فيها المدينة بعدما ذكر أبواب المدينة الأربعة، ويرى أن تيهرت القديمة اتخذت كحصن لبرقجانة فيذكر:«وهذه تاهرت الحديثة وعلى خمسة أميال منها تيهرت القديمة، وهي حصن لبرقجانة، وهو في شرقي الحديثة »[5].

ذكر كل من ابن حوقل والشريف الإدريسي والمقدسي أن المدينة القديمة كانت ذات سور. أما الحديثة لم تكن تيهرت وفي أوج قوتها لتخلو من التحصينات وتشييد العمارة الحربية بما يكفل لها العيش في أمن وسلام أمام الأخطار الخارجية. فيذكر صاحب كتاب الاستبصارعن تيهرت:« مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر، وبها قصبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة...»[6]، فكان السور الأداة الدفاعية الهامة بالإضافة إلى الأبواب المحيطة بالمدينة. ويعبر أبو الربيع الوسياني عن حصانة المدينة أنها كانت«...حرزا وحصنا لجماعة المسلمين وسميت بأم العسكر، عسكر المبارك»[7].

وقد كانت الأوضاع العامة التي كانت تعيشها تيهرت لها أثرها في العمران الدفاعي خاصة أيام الفتن؛ فقد نجد أن القبائل تبادر إلى بناء مثل هذا النمط من العمران، ولم تكن العملية مقتصرة على

---

[1] الفرسطائي : المصدر السابق، ص 223 .

[2] الشماخي : المصدر السابق، ج01، ص 124 .

2 ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج 01، ص 25 .

[4] القلقشندي : المصدر السابق، ج 05، ص 111 .

[5] البكري : المصدر السابق، ص 249 .

[6] مجهول : الاستبصار، ص 178 .

[7] أبو الربيع الوسياني : سير مشائخ المغرب، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 54 .

الدولة فقط. فقد«صار للعجم ونفوسة الرستميين موضع واحد في العدوة المعروفة بعدوة نفوسة فبنوا حصنهم فيه وشيدوه، وتبع من العرب والجند توابع من التجار... فقالوا للعرب والجند لو بنيتم حصنا تأمنون فيه ليلكم، وتتحصنون فيه إن دهمكم شيئ من عدوكم، وهذه أموالنا في أيديكم، فشرعوا في بناء الحصن...»[1]، وقد تبنى هذه الحصون والقلاع كحتمية للظروف المعاشة وحسب درجات الفتن التي تهدد أمن القبائل«... قالوا وربما كان البناؤون يبنون والنبل تصيبهم فيحفلون لهم ستارة حتى استدار حصنهم وركبوا له أبوابه وعلته أبرجته والحرب لا تفتر ليلا ولا نهارا، حميت فيهم حمية الجاهلية...»[2].

كما أن النزاعات التي كانت تنشب بين القبائل بين الحين والآخر كان لها مفعولها في ظهور الحاجة لبناء الحصون مثلما حدث بين لواتة وهوارة: فلم تزل أمور الناس هادئة حتى وقع شيئ بين هوارة ولواتة وكانت لواتة إذ ذاك بالمدينة مع أهل المدينة فتسلطت عليها هوارة بسلطانهم وأعانتها أهل المدينة. فلما رأت لواتة ذلك ظعنت عن المدينة وخلت عنها ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة[3].

وكان لهوارة قلعتها الخاصة بها. وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب. وتحتها فحص طوله نحو أربعين ميلا يشقه نهر سيرات[4].

كما أن الأئمة الرستميين اهتموا كثيرا بأمن الطرق التجارية التي كانت تشكل أهم مورد لحاضرتهم تيهرت، إذ يعتبر تاديوش ليفيتسكي Tadeusz Lewicki أن الاقتصاد الإباضي قد ارتكز على التجارة العابرة للصحراء الكبرى مع بلاد السودان الغربي والأوسط [5].

ومن أهم النقاط التي اتخذها الأئمة الرستميون كحصون ومحطات لتأمين طرقهم التجارية نحو الشمال، يذكر البكري :«إن أردت الطريق من تيهرت إلى البحر، فإنك تمر بين قبائل البربر حتى تأتي شلف بني واطيل، ومن هناك إلى الغزة يومان، والغزة : ساحل تيهرت، وبقرب هذا الموضع على البحر قلعة مغيلة دلول...»[6] .

د- مصادر مياه مدينة تيهرت :

تشير المصادر الجغرافية إلى أن مدينة تيهرت كانت تتمتع بنظام خاص للمياه، تستفيد منه كافة المرافق الموجودة في حيز المدينة من مرافق وأحياء ودور، وأرحية وغيرها. وقد أشار صاحب كتاب البلدان إلى أن سكان تيهرت شربهم من«أنهار وعيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبلي قبلي يقال له جزول...»[7]، أما ابن حوقل فقد أشار إلى أن سكان تيهرت المحدثة« لهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين وحمامات وخانات...»[8]، ويكون قرب المدينة من الأنهار قد ساعدها على الاستفادة من مياهها، هذه الأنهار التي تبلغ ثلاثة حسب ابن عذارى الذي يقول أن تيهرت« تقع بين ثلاثة أنهار...»[9]، فيما يحدد البكري أن تيهرت«على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى: مينة، وهو في قبليها، ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى: تاتش، ومن تاتش شرب أهلها وبساتينها، وهو في شرقيها...»[10]، وأشار ابن الصغير أن سكان مدينة تيهرت لما أكملوا البناء شرعوا

---

[1] ابن الصغير : المصدر السابق، ص 83 .
[2] ابن الصغير : المصدر نفسه، ص 84 .
[3] ابن الصغير : المصدر نفسه، ص 85 .
[4] كاتب مجهول : الاستبصار، ص 178.
[5] فريدة بن عزوز كلية الآداب – تطوان : أبحاث تاديوش ليفيتسكي في فجر العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء الكبرى . مجلة التاريخ العربي .
4 البكري : المصدر السابق، ج 02، ص 251 .
[7] اليعقوبي : البلدان، ص 197 198 .
[8] ابن حوقل : المصدر السابق، ص 86 .
[9] ابن عذارى : المصدر السابق، ج 01، ص 57 .
[10] البكري : المصدر السابق، ج 02، ص 248 .

في «غرس البساتين وإجراء الأنهر واتخاذ الرحاء والمستغلات وغير ذلك...»[1]، كما ذكر نهرا يقال له "نهر أبي سعيد "وآخر يعرف "بالنهر الصغير" وثالثا يقال له "نهر اسلان"، وربما كانت هذه الأنهار جميعا شأن نهر تاتش الذي ذكر البكري أن شرب أهل تيهرت منه[2].

بالإضافة لهذه الأنهار كانت تتواجد بتيهرت العيون والتي تكون مصدر لمياه الأنهار في فصول الجفاف خاصة في الصيف، ويشير المقدسي إلى أن تيهرت «على واد عظيم ذات أعين وبساتين»[3]، ويؤكد الإدريسي شهادة ابن حوقل، ويقول عن مصادر مياه المدينة «بمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار...»[4].

أما عن كيفية الاستفادة من هذه المياه وتوزيعها فالراجح أنها كانت خاضعة إلى نظام خاص يشمل جميع السكان والدور والأحياء التي بالمدينة، وتوجد إشارة عند الشماخي تتحدث عن شكل توزيع الماء بين سكان مدينة ورقلة إلا أن ذلك يكون في الجانب الفلاحي وري البساتين، وقد يكون هذا النظام هو السائد بمدينة تيهرت أيضا؛ فلما أرسل يعقوب بن الشيخ أبو القاسم يونس بن وزجين رسولا للسؤال عن صديقه أبوعيد الله أجابه الرسول «فقال تجده في جنانه لأن نوبة الماء عنده»[5]، ويكون الأئمة الرستميين قد عملوا على أن تكون المدينة مزودة بشبكة قنوات موصلة للمياه لكافة السكان كما للبساتين أيضا.

وبالنسبة للتخزين فقد عثر جورج مارسيه ولامار في أثناء حفرياتهما بالمنطقة عام 1941[6] على خزانات للماء وأحواض للمياه كما وضعوا لها تصاميم حسب تخيطها. ومن بين الآثار الباقية بمنطقة تيهرت بناء يحتوي على ثلاثة أحواض رئيسية مستطيلة الشكل جدرانها مبنية بالحجر والملاط وملبسة بطلاء سميك[7]. كما وجدت العديد من العيون ومخازن الماء.

هـ- الوضع الاجتماعي والثقافي :

قبل أن تصبح تيهرت حاضرة متطورة لم تتخلص في البداية من طابعها البدوي الذي غلب على سكانها، إذ أن تركيبة سكانها عند تخطيط المدينة كان يتشكل من القبائل البربرية المحيطة بها، والتي تحالفت مع عبد الرحمن بن رستم، ونجح هذا الأخير في استمالتها، وبدأت تيهرت تستقطب مختلف هذه العناصر .

قبل ازدهار المدينة ليس فقط بالمغرب الأوسط بل في كل المغرب الإسلامي، فإن سكانها تمتعوا بحكم الأئمة الذين حكموا بالعدل و اهتموا بالفقراء والمساكين، فالإمام عبد الرحمن أشرف بنفسه على توزيع أموال الصدقات على الفقراء«ثم نظر في باقي سائر المال فإذا بلغ مبلغه أمر بإحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم أمر بإحصاء الفقراء والمساكين، فإذا عرف عددهم أمر بإحصاء ما في الأهراء[8]من الطعام، ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه»[9].

استمر الأمر على هذا النحو إلى أن بدأ الناس في اتخاذ البيوت والقصور وتغيرت أحوال مدينتهم نحو الأحسن[10]، وهذا ما لاحظه الوفد القادم من البصرة والذي كان محملا بالمعونة الثانية

---

[1] ابن الصغير : المنصدر السابق، ص 35 36.

[2] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع نفسه، ص 57 58.

[3] المقدسي : المصدر السابق، ص 185 .

[4] الإدريسي : المصدر السابق، ج 01، ص 256 .

[5] الشماخي : المصدر السابق، ج 02، ص 125 .

[6] G. Marçais et A . Dessus-Lamare : *recherches D'Archéologie Musulmane , Tihert – Tagdemt,* Revue Africaine, 1946, p. 31 -32- 33 .

[7] رشيد بورويبة :الفن الرستمي بتاهرت و سدراتة، الأصالة . العدد 45، ماي 1975، ص 184 .

[8] الأهراء : هي المخازن .

[9] ابن الصغير : المصدرالسابق، ص 41 .

[10] إحسان عباس : المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الأصالة، عدد 45، ماي 1975، ص 24 .

لأهل تيهرت؛ «ودخلوا المدينة فرأوا هيئتها قد تبدلت ولاح عليها رونق المدنية والملك وعلت وجوه أهلها سيماء الحضارة والرفاهية، وبدت من محياهم آثار النعمة والغنى، وازينت المدينة بقصور مشيدة ودور منظمة وأبنية مبهجة، وقباب مرتفعة وأسواق مزدحمة ومساجد متعددة بمنارات عالية وحمامات متقنة يحيط بها بساتين متنوعة، ومطاحن منتصبة على تلك الأنهار الجارية، واتخذ أهلها الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة.... ورأوا ما لم يخطر لهم ببال، ولا سمعوه في مجيئهم الأول بحال من الأحوال»[1].

ونتيجة هذا الرخاء الذي عم البلد أخذ الناس يتنافسون في البناء خاصة في عهد الإمام الثالث أفلح ابن عبد الوهاب. حيث تكتمل مرافق المدينة المختلفة، وتزدهر التجارة والتعليم وغيرها، فأما البيوت المشيدة فكانت البسيطة وبجانبها وجدت بيوت تتكون من عدة طوابق وهذا ما تكشف عنه رواية ابن الصغير المالكي عن القاضي محمد بن عبد الله، الذي أمر صاحبه سليمان بالصعود إلى أعلى الدار للبحث عن ابن الإمام أبي اليقضان والذي اشتكت منه امرأة أنه اختطف ابنتها فقال له :«...يا سليمان اصعد إلى أعلى الدار واحذر من أن ينزل من جوانب الدار ثم أقبل يتخلل بيوت الدار بيتا بيتا وموضعا موضعا فلم ير شيئا، ثم صعد أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئا...»[2] .

كانت البيوت تزين بالشرفات وبجانبها تغرس الأشجار على جانبي الطريق والشوارع إلا ما يكون فيه مضرة الجار فإن صاحب البيت يمنع من ذلك، أما حكم ذلك في رأي الفرسطائي«...وأما إن منعوه من غرس الأشجار على جوانب الطريق من أجل ما يلحق الشارع من غصونها أو عروقها فلا يمنعوه من ذلك ما لم تصل مضرته إلى الطريق. فإذا وصلت فليأخذوه بنزعها، وكذلك وارثه بعده على هذا الحال، وكذلك ورثة أصحاب الشارع مثلهم في المنع والنزع»[3]. وكانت الأحكام التي وضعها الفرسطائي تشمل كافة مرافق المدن، إنما قصدنا من ربطها بمدينة تيهرت كونه مرتبطا بالفكر الإباضي.

و- الحياة العلمية بتيهرت :

بدأت الدولة الرستمية تثبيت أركانها ببلاد المغرب الأوسط اعتمادا على المذهب الإباضي[4] كأساس للدولة وكان الأئمة يتولون الحكم وهم على درجة عالية من العلم، فكان بيت الرستميين بيت العلم في فنونه من الأصول، والفقه، والتفسير، وعلم اختلاف الناس، وعلم النحو والإعراب، والفصاحة وعلم النجوم[5]. ومع ازدهار تيهرت الاقتصادي وتنوعها الاجتماعي بدأت تدب فيها حركة البناء التي ستشمل المساجد والكتاتيب ونسخ ونشر الكتب ونقلها من المشرق إلى المغرب وتحت إشراف الأئمة الرستميين أنفسهم . خاصة في ظل سهولة حركة قوافل التجار والحج .

وقد سايرت مدينة تيهرت فترة الازدهار التي شهدها العالم الإسلامي في الميدان العلمي، ولم يتوقف الاهتمام بالعلم على الأمراء مثلما فعل الإمام عبد الوهاب، ولا على كبار الأثرياء الذين كانوا ينفقون الأموال الطائلة في طلبه، بل كان عامة الناس من أهل القبائل يشجعون الطلبة على تلقي العلم، فكانت على سبيل المثال نفزة ولماية ومزاتة وما حولها من القبائل يبذلون الجهد في معاونة الطلبة بالهدايا والتحف والعطاء واللطف[6].

أما الأئمة الرستميون فكان النهوض بتيهرت علميا وفكريا من أهم إشغالاتهم، وعملوا على أن تكون تيهرت منارة للعلم بالمغرب الأوسط، فيذكر أبو زكريا أن أحد الرستميين قال :«معاذ الله أن

---

[1] أبو زكرياء : كتاب سير الأئمة و أخبارهم، ص 54 . سليمان باشا الباروني : المرجع السابق، ص 143 .

[2] ابن الصغير : المصدر نفسه، ص 91 . البرادي : الجواهر، ص 178 .

[3] الفرسطائي : المصدر السابق، ص 152.

[4] بكير بن سعيد أعوشت : دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ص 20 .

[5] أبي الربيع الوسياني : سير مشائخ المغرب، ص 65 .

[6] جودت عبد الكريم يوسف : الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط، ص 320 321 .

تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر»[1]، حتى أننا نجد من بعض الباحثين من يرى أن الاهتمام الرستمي بالعلم قد شغلها عن باقي المجالات الأخرى؛ ففي وسط الرخاء الذي ساد حولهم، وفي هدوء علوم الدين الأثيرة لديهم لم يعد الأئمة الرستميون في تاهرت يفكرون في الحرب، وفي النضال الذي أتى في هذه النواحي بالمؤسس الكبير لدولتهم وهو ابن رستم . وأهملوا في العناية بإعداد جيش يقدر ولو على الدفاع عن بلادهم وعاصمتهم[2]. فقد شكل العلم أولى اهتمامات هؤلاء الأئمة؛ فمؤسس الدولة عبد الرحمن كان بالإضافة إلى أنه المؤسس للدولة فهو من حملة العلم بالبصرة[3]، فقد بويع على إقامة كتاب الله وسنة رسوله وإتباع الخلفاء الراشدين فقبلها على ذلك وأقام بأمر الله وزهد الدنيا بعد أن تمكن منها فلم ينقم أحد عليه في خصومة ولا حكومة ولا أخذ مال ولا إقامة حد ولا ميل إلى الدنيا[4]، فيما يقول عنه ابن الصغير :« فقد شمر ميزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف، ولا يخاف في الله لومة لائم»[5]. ولم يغفل عبد الرحمن الاهتمام بالمرافق الخاصة بالمجال العلمي والمتمثلة في المساجد التي اتخذها الرستميين أماكن يقيمون فيها حلقاتهم العلمية والمناظرة وغيرهما، وإذا كان ابن الصغير المالكي ينفي أن تكون له مؤلفات خاصة به«...ولم يكن لأبيه عبد الرحمن (عبد الوهاب) كتاب معروف من تأليفه»[6]. إلا أن الشماخي ذكر«للإمام عبد الرحمن تفسير كتاب الله »[7].

أما الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن فلم يكن أقل شأنا من أبيه؛ فقد امتدت الدولة في عهده واتسعت أكثر مما كانت في عهد أبيه، وكان من عادته أنه إذا فرغ من الصلاة أن يأخذ كتابا فيقرأ فيه[8]، وحبه للعلم جعله يكلف من يشتري له الكتب من المشرق ؛« فبعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة أن يشتروا له بها الكتب. فلما وصلهم الألف اجتمعوا واتفقوا أن يشتروا بها رقا ويجعلوا من أنفسهم الحبر والأقلام وعولة الكتاب، وأخذوا في النسخ، فنسخوا له أربعين حملا من كتب. فبعثوا بها إليه»[9].

وقد مكث هذا الإمام سبع سنين بجبل نفوسة يعلم مسائل الصلاة[10]، كما كان يناظر الواصلية بتيهرت[11]. وكان له تصنيف في النوازل يذكره ابن الصغير المالكي:«كان لعبد الوهاب كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل لأن نفوسة كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سألت عنه، وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن، إلى أن لحق الفصل فأخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه»[12].

---

[1] أبي زكريا : سير الأئمة وأخبارهم، ص65

[2] الفرد بل . الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ص 150.

[3] يقول الشماخي أن عبد الرحمن بن رستم تعلق بسلمة بن سعد الذي كان يدعو للمذهب الإباضي ببلاد المغرب، غير أن رجلا من أهل الدعوة أشار عليه بالذهاب إلى البصرة لأن فيها عالم كبير وهو مسلم أبو عبيدة بن أبي كريمة التميمي، وقيل أن أمه هي التي قالت له ذلك،= = فسافر مرتحلا للبصرة، ووافق ارتحاله جماعة إليه في ذلك العام حملة العلم وهم : عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي . الشماخي : المصدر السابق، ج01، ص 113 . وقد انظم إليهم فيما بعد أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري.

[4] الشماخي : نفسه، ص 125.

[5] المصدر السابق : ص32 .

[6] المصدر نفسه : ص 45 .

[7] الشماخي : المصدر السابق، ج 01، ص 167.

[8] أبي زكريا : المصدر السابق، ص 61 .

[9] أبي زكريا : نفسه، ص 65 . الشماخي : المصدر نفسه، ج 01، ص 142 .

[10] أبي زكريا : نفسه، ص 76

[11] أبي زكريا : نفسه، ص 67 . الشماخي : المصدر السابق، ج01، ص 137

[12] ابن الصغير : المصدر السابق، ص 45 46 .

ابن عبد الوهاب الإمام أفلح يشير أبي زكريا؛ أنه قعدت عليه أربع حلق يتعلمون عند فنون العلم، قبل أن يبلغ الحلم، وبلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما[1]. و«ذكر عن الإمام أفلح أنه لم يعد خطبة قط لجمعة ولا لعيد أو لغيرهما »[2] .

أما الإمام أبي بكر بن أفلح فكما يذكر ابن الصغير المالكي أنه «كان سمحا جوادا لين العريكة يسامح أهل المروءات [كذا] ويشايعهم على مروءاتهم ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين»[3]. وكان الإمام أبواليقضان «كثير الالتزام بالمسجد، زاهدا ورعا ناسكا سكينا وكان إذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبلا الباب البحري»[4]. ويقول عنه الشماخي:«أنه قد جمع العلم والعمل وألف كتبا كثيرة...وكانت نفوسة تجعل داره كالمسجد يسهرون حوله طائفة يقرأون وطائفة يصلون وطائفة يتحدثون في فنون العلم وكان حسن السيرة أورع من في زمانه وله في الرد على المخالفين كتب كثيرة...»[5].

وبالنسبة للإمام أبي حاتم يوسف بن محمد والذي مكث في الإمامة أربعة عشر سنة، «وقد اطردت له الأمور ولم ينقم عليه من رعيته أحد»[6]. ويقول عنه الشماخي أنه :«...الإمام الماهر والبحر الزاخر العالم الذاكر...»[7]، على أن ابن الصغير يصور لنا ملامح الحياة الفكرية في هذا العهد :« أن مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئا إلا أن الفقهاء تناجت المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها [كذا] ومن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك»[8].

إنها صورة تدلنا على المستوى الكبير الذي كان عليه الأئمة الرستميين من الرقي العلمي الرفيع، ولذلك فلا غرابة أن تزدهر هذه الحاضرة وتنعت بالعراق الصغير، وبعراق المغرب، وكانت هذه الحركة العلمية والفكرية تجري في مقرات كانت مخصصة لذلك شملتها المساجد المنتشرة في كل الأقاليم التابعة للدولة الرستمية، كما لم تستثن دور العلماء وقصور الأثرياء .

ويرى الحبيب الجنحاني[9] أن اهتمام الخوارج المتزايد بتآليف المشرق جعلتهم يستخدمون اللغة البربرية، وإن بعض الدروس كانت تلقى بالعربية ثم يعقبها تفسير بالبربرية، وهذا ما يستخلص من كتب التراجم والطبقات الاباضية مثلما نجده عند أبي سهل الفارسي؛ فقد ألف لسكان مرسى الدجاج وقيل لجزائر بني مزغنة « اثني عشر كتابا وعظا وتذكيرا وتخويفا نظما بلغة البربر وكان يحسنها إذ هو ترجمان الإمام افلح...»[10]، فهذا يدل على طبيعة العلاقة الموجودة بين الطبقات الدنيا في مجتمع المغرب الأوسط والعلماء الذين استطاعوا النفاذ إلى كافة شرائحه، وفي مختلف الأنحاء سواء بهدف نشر المذهب أو السعي لنشر العلم .

ي- الحسبة بتيهرت :

عرفت مدينة تيهرت الحسبة والتي أشارت إليها مختلف المصادر الإباضية، فابن الصغير المالكي يشير إلى أن هذه الوظيفة مارسها أبو اليقظان أخ الإمام أبي بكر:«...فإذا كان آخر النهار أتى باب أخيه أبي بكر فإن وجده جالسا دخل عليه وأعلمه بما حدث في يومه من خير وحكم، وإن وجده

---

[1] أبي زكريا : المصدر السابق، ص 89 .
[2] الشماخي : المصدر السابق، ج 01، ص 224 .
[3] ابن الصغير : المصدر السابق، ص 71 .
[4] ابن الصغير : نفسه 92 . الشماخي : المصدر نفسه، 189 .
[5] الشماخي : نفسه، ص 189 .
[6] أبي زكريا : المصدر السابق، ص 99 .
[7] الشماخي : المصدر نفسه، ج 01، ص 223 .
[8] ابن الصغير : المصدر السابق، ص117 .
[9] الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، ص 198 .
[10] الشماخي : المصدر السابق، ج 01، ص 244 .

مشتغلا قال لمن علم إنه يصل إلى حرمته أقرأ على الأمير السلام وقال له أصبحت مدينتك اليوم هادئة وأمست هادئة، لمن علم إنه يصل إلى حرمته أقرأ على الأمير السلام وقال له أصبحت مدينتك اليوم هادئة وأمست هادئة، وإذا كان في الليل ركب وطاف في المدينة حتى أقصاها ويحكم في الأمر الضروري ويأمرهم إذا حدث حادث أن يوافوا داره فإذا حكم جميع ذلك انصرف إلى داره...»[1].

كانت الأسواق ميدانا تتجلى فيها وظيفة المحتسب وتتضح مهامها أكثر من أي مكان آخر وهذا بحكم المعاملات الكثيرة المرتبطة بهذا الموضع من بيع وشراء وغيره؛ فعندما آلت الإمارة لأبي اليقظان نفسه نجده يكلف بهذه المهنة قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، «قالوا، فإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه. ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم »[2].

غير أننا نجد من الباحثين من يرى أن مدينة تيهرت لم تعرف نظام الحسبة بكامل مهامها وشروطها، وذلك بسبب عدم انتظامها مثلما هو الشأن في بلاد الأندلس وإفريقية[3]. غير أن في ذلك شك ذلك أن بلاد الأندلس كانت أكثر تطورا ريفا ومدنا ومن ثم اقتضى الأمر أن تظهر وظيفة المحتسب، ويمكن أن نقول أنها لم تكن خطة واضحة المعالم ولكنها ظهرت وتبلورت بمرور الزمن.

وتكون هذه الخطة قد أسندت ربما إلى صاحب الشرطة[4]. وهذا ما تذكره المصادر الإباضية من مهام خاصة برجل الشرطة في عهد الإمام أبي حاتم، بعدما بدأت تظهر المفاسد في المجتمع التيهرتي «وبها فسدت البلد وفسد أهلها وأظهروا المنكر وكثر الفسق والزنى وشرب الخمر جهارا . فكان على المكلفين بالشرطة أن يقطعوا ذلك »[5].

ومن المرافق التي كانت تخدم هذه المهنة نجد السجن والتي كانت تيهرت مزودة بها[6]. كما لم تترك الطرقات دون مسؤولية من السلطة إذ تكفل بها الحكام الذين كانوا هم المشرفين بالدرجة الأولى بنزع ما يضر الناس في هذه الأماكن كما يوضح ذلك الفرسطائي الذي يقول :«وأما ما جعل من المضرة على طريق الخواص فلا ينزعونه بأنفسهم إذا لم يحضر من جعلها. وأما الحاكم أو جماعة المسلمين فإنهم ينزعون ما جعل من المضرة على طريق الشارع سواء كان الحاكم أو جماعة المسلمين من أهل الشارع أو غيرهم. إن كان الشارع للعامة »[7].

أما القضاء فتكون هذه المهنة قد مارسها الأئمة أنفسهم، إذ كانوا يجلسون فقي المساجد للنظر في أمور الناس، ولدينا نص يشير إلى مشاركة الناس في اختيار القاضي العدل، وقد يكون ذلك رغما عن السلطة، ففي عهد الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب اتفق الناس «أجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل أوراس، فأتوا إلى أفلح بن عبد الوهاب فقالوا قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرتض أحدا منا وقد ارتضينا جميعا بمحكم الهواري الساكن بجبل أوراس لخاصتنا وعامتنا ودیننا ودنیانا...»[8].لم تستمر المدينة كثيرا في نموها، وسرعان ما عرفت مظاهر عديدة للسقوط والانهيار.

وبالنسبة لتراجع المدينة فإن التطور التاريخي لتيهرت لم يكن ليخدم استمرار نمو المدينة واتساع مجال نفوذ الدولة، فقد كان تطور المدينة مرتبطا إلى حد كبير بتطور الدولة الرستمية، كما أن انهيار الدولة أدى إلى تراجع دور تيهرت التي نهبت من قبل الفاطميين بعد عام 296 هـ، بعد أن

---

[1] ابن الصغير : المصدر السابق، ص 73 .

[2] ابن الصغير : نفسه . ص 88 . البرادي : المصدر السابق، ص 177 .

[3] موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي نشأتها وتطورها . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1971، ص 33 .

[4] جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص 53 .

[5] ابن الصغير : المصدر السابق . ص 116 117 . الشماخي : المصدر السابق، ج1، ص 223 224.

[6] البرادي : المصدر السابق، ص 180 .

[7] الفرسطائي : المصدر السابق، ص 153 .

[8] ابن الصغير : المصدر نفسه، ص 57 .

تجمعت إليها أسباب الزوال والانقراض من كل جانب، ودخلها احد أعوان الفاطميين أبو عبد الله الحجاني[1]ونهبها وقتل من ظفر من بني رستم واستباح أموالهم وقصد المكتبة الكبرى (المعصومة) وأخذ ما فيها من الكتب الرياضية والصناعية والفنية واحرق ماعدا ذلك كله[2]، وبعد أن قتل عبد الله الشيعي يقضان بن أبي اليقضان وجماعة من أهل بيته وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس برقادة، انتهت الدولة الرستمية، وأصبحت حاضرتهم تابعة للدولة الفاطمية وأصبح واليها هو أبا حميد دواس بن صولات اللهيصي[3]، الذي ثارت عليه أهل تيهرت عام 299هـ، فكانت حملة أبي عبد الله على المدينة في محرم/صفر من هذا العام ولمدة ثلاثة أيام«قتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية، وانتهبوا الأموال، وحرقوا المدينة بالنار، وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل، ثم ولى عبيد الله تيهرت مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي»[4]. إن هذا الرقم الذي يقدمه ابن عذارى يدل على حجم المدينة التي تستوعب هذا الرقم من السكان، وهو أقرب إلى الحقيقة فرغم ظروف الحرب حيث تكون المدينة خالية من السكان ورغم ذلك أبى سكانها مغادرتها.

فهل تحولت تيهرت إلى مركز توسع شيعي نحو بلاد المغرب الأقصى ؟

أم أنها بقيت وفية لأصولها الزناتية، وتحولت إلى مركز المقاومة الزناتية ضد الوجود الفاطمي في بلاد المغرب ؟ فلاشك أن الموقع الذي تميزت به المدينة، على طريق القوافل التجارية نحو سجلماسة[5]، يجعل الوطأة الفاطمية على المدينة تكون ثقيلة، وهذا ما جعلها تتراجع عن المكانة التي كانت تتمع بها في السابق.

تتوالى النكبات على مدينة تيهرت في القرن الرابع وتتعرض للحرق في بداية وأواخر القرن ففي «سنة خمس وثلاثمائة أحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة زناتة»[6]، وفي عام 347 هـ نهبها وأحرقها أبو الحسن جوهر الذي كان في حملة مع الأمير زيري بن مناد الصنهاجي[7] للقضاء على ثورات المغرب الأقصى على السلطة الفاطمية .

لقد اشتهر المغرب الأوسط وعلى الخصوص قسمه الجنوبي في فترة النفوذ الرستمي كونه مركزا لعبور التجار ببلاد المغرب، وهذا ماتخبرنا به المصادر الإباضية، على أن الخط الرابط بين تيهرت ومدينة ورقلة التي كانت أهم المراكز التجارية ببلاد المغرب، حيث كانت محطة رئيسية لتجارة القوافل قبل التوسع الفاطمي الذي يكون قد عجز عن السيطرة عن المدينة وتركها تؤدي دورها التجاري .

فقد كانت الطرق التي تخرج من تيهرت نحو الصحراء تمر عبر ورجلان، وفي منتصف القرن الثالث الهجري تقريبا، كان يوجد طريق مباشر يمر ببلدة لغوات ويربط ورقلة بتيهرت، بينما كان يوجد طريق تجاري آخر بين ورقلة ومدينة سجلماسة التي تمثل المحطة النهائية الشمالية الأكثر أهمية لطرق القوافل بين إفريقيا الشمالية والسودان الغربي[8] .

---

[1] هو (عبد الله الشيعي) مولى عبيد الله المهدي . شكا إليه أهل تيهرت من اليقضان أبي اليقضان فكان ذلك ذريعة ليدخل المدينة ويخربها.

[2] سليمان الباروني : مختصر تاريخ الإباضية، ص 57 . الأزهار الرياضية، ص 346 .

[3] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج01، ص 153 .

[4] ابن عذارى المراكشي : المصدر نفسه، ج 01، ص 166 .

[5] محمد سهيل طقوش : تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا و مصر و بلاد الشام، ص 89 110 .

[6] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 121 .

[7] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996، ج 01، ص 93 .

[8] تاديوز ليفيتسكي : دور الصحراء الكبرى و أهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب .(تاريخ إفريقيا العام من القرن السابع إلى القرن العاشر) إشراف ن م . الفاسي و إ . هربك. الجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام . اليونسكو، باريس 1994، ج 03، ص 334 .

أما في فترة السيطرة الفاطمية على بلاد المغرب الأوسط، فإن ابن حوقل مصدر تلك الفترة لا يخبرنا على هذه المدينة شيئا، غير أن هذا لا يؤدي بنا لاستبعاد انتهاء دور هذه المحطة التجارية الهامة . فالمرحلة التالية للوجود الفاطمي ببلاد المغرب الأوسط تميزت بحركة بناء للمدن، كما عرفت أيضا ازدهارا كبيرا يقوم على تجارة العبور (الترانزيت) بين الأطراف الغربية والشرق الإسلامي، وبين اسبانيا وصقلية والممالك البربرية .

مصادر ومراجع الموضوع

1- حسين مؤنس: ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102– 136هـ (721– 753 م)، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الأول، ماي 1948 .

2- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: كتاب السير. تحقيق، أحد بن سعود السيباني، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1992 .

3- إبراهيم زروقي. المذاهب الإسلامية في عهد إمامة تاهرت أول دولة إسلامية في الجزائر، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني من سنة 1982، الجزائر، 1982.

4- ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تح ج س كولان وإ ليفي بروفنصال، ط 02، دار الثقافة، بيروت، 1980 .

5- ابن الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم. تاريخ إفريقية والمغرب. تح عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 .

6- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد: المسالك والممالك. ط 1، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 .

7- أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 .

8- سليمان بن عبد الله الباروني باشا: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق، احمد كروم، عمر بازين ومصطفى بن دريسو، دار ابعث، الجزائر، 2002 .

9- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. البلدان. ط 01، تح محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 .

10أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة. المسالك والممالك، مكتبة المثنىبغداد.

11- ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيسنى، دار القلم القاهرة، 1961.

12-ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي. صورة الأرض. ط 02 دار صادر، بيروت، 1938.

13- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط01، تح محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 .

14- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي. معجم البلدان. ط02، دار الفكر، بيروت، 1995 .

15 كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب. لمجهول، تح سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة الأعظمية، بغداد .

16- أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجعرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب العجائب، تحقيق، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

17- الإدريسي، أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسني. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . ط 01، عالم الكتب، بيروت، 1989 .

18-ابن الصغير:أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق، محمد ناصر وإبراهيم بحاز،دار الغرب الإسلامي لبنان، 1986.

19- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر. سير الأئمة وأخبارهم. تح إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979 .

20-أبو القاسم بن إبراهيم البرادي: الجواهر، مكتبة مصطفى بن الناصر، غرداية، الجزائر.

21- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
22- يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة اليديني، الرباط، 2003.
23- عبد الرحمن بن خلدون. كتاب العبر وديوان المبتأو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الفكر، بيروت، 2000 .
- المقدمة. دار الجيل، بيروت .
24 محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المعروف بابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، لبنان / مؤسسة سعيدان تونس، 1993.
25-عبد الله العروي. مجمل تاريخ المغرب. ط2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2000.
26 جودت عبد الكريم يوسف. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (10-9م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر: 1992 .
- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
27هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني الهجري السابع والثامن الميلادي. ط01، دار الطليعة بيروت، 2004 .
28عبد العزيز فيلالي. المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشرسوسة، تونس .
29- لومبار موريس. الإسلام في مجده الأول من القرن 02 إلى القرن 05هـ (11-8م) .ترجمة إسماعيل العربي، ط 03، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب، 1990 .
30- ابن منظور: لسان العرب، المجلد 05.
31- دائرة المعارف الإسلامية. المجلد الرابع .
32- القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج 05، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915 .
33أبو الربيع الوسياني:سير مشائخ المغرب، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1985.
34- فريدة بن عزوز كلية الآداب – تطوان: أبحاث تاديوش ليفيتسكي في فجر العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء الكبرى. مجلة التاريخ العربي .
35- قالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، كامل العسلي، مكتبة الأسد، دمشق .
36-رشيد بورويبة:الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، الأصالة. العدد 45، ماي 1975 .
37-إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الأصالة، عدد 45، ماي 1975 .
38- 38 -الفرسطائي، أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر. القسمة وأصول الأراضين. تح محمد صالح ناصرو بكير بن محمد الشيخ بلحاج، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1994.
39- بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية .
40 ألفرد بل. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم. ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط 03، دار الغرب الإسلامي.1987 .
41- الجنحاني الحبيب. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. ط 02، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1986 .
42- سلفادورغومث نوغاليس: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الاباضية، الأصالة، العدد 46 47، السنة الخامسة جوان جويلية 1977.

43- موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي نشأتها وتطورها. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971.
44- محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام .
45 -ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. ط 02، المطبعة الملكية، الرباط، 1990 .
45 - تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996، ج 01.

47 Brahim zerouki, *l'imamat de tahart premier état musulman du Maghreb(144/296-delhegire),tom1:Histoire-Politico-Socio-religieuse*,C.N.R.S, Paris,

48 Rachid Bourouiba *: Architecture militaire*

49 G. Marçais et A . Dessus-Lamare *: recherches D'Archéologie Musulmane , Tihert – Tagdemt*, Revue Africaine, 1946 .